مدخل لدراسة ظاهرة إحجام بعض تلاميذ التعليم الثانوي الجزائري عن ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية

فحصي محمد رياض معهد التربية البدنية والرياضية، جامعة الجزائر3

ملخص:

إن مادة التربية البدنية والرياضية تتفرد عن باقي المواد التعليمية بميزة سلبية متمثلة في إمكان التلميذ طلب إعفاء نفسه من ممارستها، والتي جعلتها عرضة للاستخفاف بأهميتها الأساسية في نمو التلميذ من جميع أبعاده. فمن خلال احتكاكي بمجتمع تلاميذ المؤسسات الجزائرية للتعليم الثانوي بحكم تجربتي فيها كأستاذ أسبق، كانت تتبادر على ذهني بهذا الخصوص تساؤلات كثيرة تمثلت في، لماذا لا يمتنع التلاميذ الممارسون للتربية البدنية والرياضية عن ممارستها رغم علمهم بالسلبيات المادية والبشرية التي تعيشها، وتنديدهم واستنكارهم لها؟ كما لفت انتباهي تردد بعض التلاميذ المعفيين المتكرر على المساحات الرياضية، وتدخلهم أحيانا بمحاولات للعب، حتى أن بعضهم لا يتردد في طلب إذن المشاركة في الحصة من الأستاذ. كما تساءلت أيضا عن لماذا يتحرج المعفى من الإجابة على سؤالي عن سبب امتناعه عن ممارسة التربية البدنية والرياضية في أول وهلة بصمته، ثم بعد إلحاحي عليه، يتذكر بأنه قدم شهادة طبية، فيدلي بحجة المرض كمفر سهل؟ هذا ما سأحاول الإجابة عليه في مقالي من خلال إشراك تجربتي بما جمعته عن الموضوع من معلومات من مختلف المصادر المكتبية.

الكلمات المفاتيح: التربية البدنية والرياضية- الإعفاء- تلميذ التعليم الثانوي- قيمة- اتجاه.

Résumé:

L'EPS (éducation physique et sportive(en tant que matière enseignée‹ se distingue du reste de ses homologues par une particularité négative représentée par la possibilité pour l'élève de demander à se faire dispenser de sa pratique‹ qui a conduit à la prise à la légère de son importance fondamentale dans le développement de l'élève sous toutes ses dimensions. Et à travers mon interaction avec les lycéens algériens compte tenu de mon expérience en tant qu'ex-professeur de lycée‹ de nombreuses interrogations s'étaient présentées à mon esprit à ce sujet‹ du genre de‹ pourquoi les élèves pratiquant l'EPS ne s'étaient pas abstenus de sa pratique malgré leur connaissance de ses désavantages matériels et humains qu'ils dénoncent ? A attiré mon attention aussi les allées et venues des élèves dispensés de la pratique de l'EPS sur les aires de jeux et leur tentation à la participation au jeu‹ au point que certains n'hésitent même pas à demander au prof la permission de participer à la séance. Comme je me suis demandé pourquoi l'élève dispensé se sens-t-il embarrassé de répondre à ma question concernant le motif de son abstention à la pratique de l'EPS au début par un long silence‹ et quand j'insiste‹ il se rappelle qu'il a présenté un certificat médical de dispense‹ alors il avance le prétexte de la maladie comme échappatoire facile ? C'est à cela que je vais essayer de répondre da ns mon article en associant mon expérience avec ce dont j'ai pu réunir sur le sujet comme informations extraites de différentes sources bibliographiques.

Mots clés: EPS-Dispense-enseignement secondaire-Lycéen-Valeur-Attitude.

مقدمة:

إن الدولة الجزائرية تعتبر مادة التربية البدنية والرياضية جزء لا تتجزأ من التربية، ونظاما تربويا عميق الاندماج بالنظام التربوي الشامل (وزارة الشباب والرياضة، الجزائر، 1976). كما تشهد لها بأهمية لا تقل عن أهمية المواد التعليمية الأخرى (حزب جبهة التحرير الوطني، الجزائر، 1986). فالنصوص المؤكدة على مكانة مادة التربية البدنية والرياضية في النظام التربوي الشامل، عديدة وفصيحة إلى حدّ يجعلنا في بعض الأحيان نعتقد أن الدولة تولي اهتماما بمادة التربية البدنية والرياضية، يفوق تعاملها مع باقي المواد التعليمية الأخرى. ولكن رغم كل ما صرح به من اعترافات بضرورة ممارسة التلميذ لفعاليات هذه المادة، إلا أن هذه الأخيرة تحتوي على عكس المواد الأخرى، على خاصية إمكان التلميذ الحصول على شهادة طبية تعفيه من تلقى دروسها، مما فتح بابا قانونيا لكل من تسول له نفسه عدم الخضوع لإجباريتها، لأسباب صحية تكون وهمية في غالب الحالات، بحيث أن ما على الأصحاء من التلاميذ الراغبين في التملص من واجب تلقي التربية البدنية والرياضية إلا التحجج بالمرض

فيتوجهون إلى عيادة الطب المدرسي لطلب شهادة الإعفاء. فإن لم يقتنع الطبيب المدرسي بحججهم، يبقى لهم أن يقصدوا إلى طبيب من القطاع الصحي، وإلا فيلجأوا إلى طبيب من القطاع الخاص يشترط فيه أن يكون محلفا (وزارة التربية، ص.12، 1991). وبالتالي نلاحظ أن للتلميذ الراغب في الإحجام، ثلاث فرص للتحايل على قانون إجبارية تلقيه لمادة التربية البدنية والرياضية، وضد مصلحته الشخصية للأسف، مما يبرز سهولة حصوله على شهادة الإعفاء. وبالتالي يجد أستاذ التربية البدنية والرياضية نفسه مكتوفة الأيدي أمام هذه الظاهرة الاجتماعية التي تتطلب في حقيقة الأمر دراسة علمية لمعرفة أسبابها الظاهرية والباطنية، وإقامة مختلف دوائر البحوث على أساس هاته المسببات بغرض التحكم في متغيراتها والتوصل في نهاية المطاف إلى علاجها والقضاء عليها من جذورها.

1- عن الهدف من هذا المدخل:

إن الجدوى من تساؤلاتي في هذا المدخل، تمثلت في رغبة حثيثة في إلقاء الضوء على ظاهرة الإعفاء من ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية لدى تلاميذ الثانويات الجزائرية، والوقوف عند أبرز أسبابها، لدعوة جميع المؤسسات التي تهتم بالبحث العلمي التربوي، التابعة منها لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وكذا لنظيرتها للتربية الوطنية، للبحث سوية عن حلول لهذه الظاهرة الخطيرة.

2- عن أبرز التساؤل بخصوص هذا الموضوع:

حينما انطلقت في التحريات حول ظاهرة الإحجام المتزايد للتلاميذ الثانويين عن ممارسة التربية البدنية والرياضية، لم ألمس اختلافات بين تدخلات الممارسين لمادة التربية البدنية والرياضية، ونظرائهم المعفيين من ممارستها بخصوص التربية البدنية والرياضية كمادة، حيث أن إدلاءاتهم حول أهميتها، ظهرت وكأنها متماثلة لديهم، رغم اختلافهم في التعامل الفعلي مع هذه المادة، والمتمثل إما في الإقبال على ممارستها وإما في الإحجام عنها. حيث أن الاختلاف بين الطائفتين من التلاميذ يكمن في أمري تطابق القول بأهمية التربية البدنية والرياضية مع العمل، بممارستها لدى التلاميذ الممارسين لها، وعدم تطابق القول بأهميتها مع الإعفاء من ممارستها بالنسبة للمعفيين من ممارسة هذه المادة التعليمية. كما أنني لم أكتف بطرح الأسئلة فحسب، بل كنت أهتم أيضا بملاحظة الفرق بين الفوجين في التعبيرات غير اللفظية المتمثلة في حركاتهم وتصرفاتهم إزاء أسئلتي وطرق كلامهم وتعبيرهم، والتي كان من أبرزها وأقواها، صمت التلميذ أو التلميذة المعفيين مباشرة بعد طرحي لسؤال"لماذا لا تمارس التربية البدنية والرياضية؟"؛ فكان التلميذ أو التلميذة يظهران وكأنهما عاجزين عن الإجابة، أكثر من أنهما يعرفان الإجابة ويتحرجان من الإفصاح بها. ومن ذلك تساءلت عن احتمال وجود تأثير لاشعوري لعوامل قد تسبب ذلك التصرف الدفاعي المتمثل في الصمت بعد سماع السؤال، وعدم الإجابة عليه، وأن تلك العوامل قد تكون وراء ظاهرة إحجام التلميذ والتلميذة عن ممارسة التربية لبدنية والرياضية.

3- عن تجربتي كأستاذ أسبق في مؤسسات التعليم الثانوي الجزائري:

وبحكم أنني كنت أدرّس مادة التربية البدنية والرياضية في مؤسسات التعليم الثانوي الجزائري، كنت عندما أشك في جدية حجة إعفاء أحد تلاميذي من ممارسة مادتي، كنت أطلب حضور وليه. فكان هذا الأخير يؤكد لي علمه بطلب كفيله أو ولده للإعفاء نظرا لكونه مصابا بمرض يكون في أغلبية الحالات مزعوما. وبالرغم من توضيحي له كيف أن ذلك المرض لا يعوق ممارسة ابنه لمادة التربية البدنية والرياضية، وأن هذه الأخيرة تساعد وبشكل ملحوظ على تحسين ظروف لشفاء ابنه منه. إلا أن جلّ الأولياء كانوا يلجأون كحل محتوم مباشرة للتوسل إليّ لأن أقبل شهادات إعفاء أبناءهم وبناتهم، ويلحون في ذلك. كان الأمر يبدو في نظري شديد الغرابة في البداية، ولكن سرعان ما تبين لي أن القضية أخطر بكثير من تضمّر تلميذ أو تكاسله، بل أن العديد من الأولياء في مجتمعنا، بدء بالعامل البسيط الأمي وانتهاء إلى الإطار السامي المثقف، وأن هؤلاء غير مقتنعين بضرورة ممارسة فعاليات مادة التربية البدنية والرياضية، وجاهلين لفوائدها وغير مدركين لمخاطر الإحجام عن ممارستها. ممّا قد يدعّم استفحال ظاهرة الإعفاء في الأجيال صاعدة. أما عن الأسباب التي تدفع بالتلميذ إلى الإحجام عن ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية، فتجربتي علمتني أنها غير واضحة كفاية، حيث أن التلاميذ لا يتسمون بالصراحة في هذا الصدد، فتجدهم يتحججون بالمرض كمبرر سهل، أو بالخوف من الإصابات، أو بانزعاجهم لاكتظاظ الأقسام ونقص الإمكانيات المادية والعتاد، أو بالخوف من الحصول على معدل منخفض في هذه المادة، وحجج أخرى متعلقة باستخدام توقيتها لأغراض أخرى متنوعة. ولكن نادرا ما يفصح التلاميذ المحجمين عن ممارسة هذه المادة، صراحة عن الأسباب المرتبطة بالأخلاق وبالدين وبضغوط أولياءهم عليهم، والمتمثلة في رفض التلاميذ أو أولياءهم أو كليهما معا، لاختلاط الذكور بالإناث أثناء ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية، ورفض الفتاة أو أولياءها أو كليهما معا، لارتدائها للباس الرياضي"**survêtement**". وفي صدد الكلام عن الاختلاط، فإن المؤلفات التي تهاجم هذا الأخير، كثيرة وموجودة حتى في قلب الثانويات في مكتباتها، ولكن نظرا لكونها في غالبيتها كتبا دينية، يتحرج أو يتخوف التلاميذ من إظهار تأثرهم بها، خاصة وأن الواحد منهم يجد نفسه أمام تناقض محير؛ فمن جهة، مؤسسة تعليمية تحثه بل تجبره على ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية، ومن جهة أخرى، المؤسسة

التعليمية نفسها، التي تمده بكتب تدفعه بطريق الاستنتاج، إلى التخلي عن ممارسة هذه المادة. خارج الثانوية أيضا، يجد التلميذ والتلميذة نفسيهما في الشارع في تناقض أكبر من سابقه، حيث يجدان المجتمع عامة والوالدين خاصة يحثونهما على الإقبال على مزاولة الدراسة في الثانوية، أين اختلاط الذكور والإناث، وحرية اختيار اللباس شيئان عاديان وقانونيان؛ وفي الوسط نفسه، يجدان مساجد ومكتبات رسمية، ومحلات تجارية حرة أخرى حكومية تمدّهما بكتب وشرائط تحرم الاختلاط وتحذر الفتاة والفتى من عدم الالتزام بقواعد الشريعة الإسلامية في لباسيهما. كما أن وسائل الإعلام الحكومية من تلفاز وإذاعة، تبث حصصا من هذا القبيل أيضا. فأي تناقض أغرب من هذا الذي يعيشانه تلميذنا وتلميذتنا الثانويان؟ ثم إن من التلاميذ أيضا، وخاصة الإناث منهم، من اعترفوا لي شخصيا ولزملائي أستاذة التربية البدنية والرياضية، بعد فتحنا لحوار هادئ وحرّ معهم، أنهم يكرهون هذه المادة، دون علمهم أنفسهم لمصدر تلك الكراهية التي ما يعرفون عنها إلا المظاهر الخارجية التي ذكرنا في الأعلى. مما يبرز لنا تعقد البحث في ظاهرة إحجام العديد من أبناءنا عن ممارسة فعاليات مادة التربية البدنية والرياضية، ومن ذلك حاجتنا الماسة لمساندة أخصائيّين متمكنين في علم النفس وعلم الاجتماع للتوصل إلى علاج شاف منها.

4- عن خلفية الاختلاط في مؤسسة التعليم الثانوي الجزائري:

إن كلمة"اختلاط"في الميدان التربوي، ترجمة لكلمة"**Mixité**"في اللغة الفرنسية، والتي تعني قبول تلاميذ ذكور وإناث في مدرسة واحدة، وفي قسم واحد (Dubois C. [et all], p. 898, 1977)؛ حيث شرع في تطبيق هذا النظام المدرسي ابتداء من الستينات، في بعض المؤسسات التعليمية، ثم شيئا فشيئا تم تعميم الاختلاط في جميع مستويات التعليم. ومنذ تأسيسه، كان التخوف منه حاضرا لدى جميع الطبقات الاجتماعية، رغم أن المؤسسات تضمنه وتحميه. يتجلى التخوف من الاختلاط في الوسط التعليمي، مباشرة في خشية المجتمع من حدوث علاقات جنسية بين التلاميذ من الجنسين، خاصة عندما يصل هؤلاء إلى سن المراهقة. ويتضح ذلك التخوف أكثر في سؤال أولياء التلاميذ عما إذا كانت المرشات وأماكن تبديل الملابس التابعة للمساحات الرياضية في الثانوية، مختلطة أم لا؟ (Zimmermann, D. [et all], p. 87-88,1977). مما يبرز أن التخوف من الاختلاط في مادة التربية البدنية والرياضية أكبر **من** التخوف منه في المواد التعليمية الأخرى، لأن دروس هاته الأخريات تلقى داخل قاعة القسم، في حين أن دروس التربية البدنية والرياضية تقام خارجها. وكأننا أمام شكلين من الاختلاط مختلفين، وفي مكانين متعارضين. ذلك أن المؤسسة الثانوية توحي للتلاميذ وأوليائهم بفكرة وجود تضاد مزدوج بين الاختلاط داخل قاعة القسم، والاختلاط خارجها. ففي عالم"داخل قاعة القسم"، إن الاختلاط بين الجنسين، حتى وهو حاضر بفعل وجود الذكور والإناث في مكان واحد، يبقى دون تخوف المجتمع منه، لأن العمل الدراسي للتلاميذ في هذا العالم يكون فرديا. والعمل الجماعي فيه، مرفوض لضيق وقت حصة الدرس وسعة البرامج، ولتسهيل عمليي التقويم والتقييم. كما أن نظام الثانوية، باعتباره نائب عن المجتمع الكبير، يحد إلى أقصى درجة، من إمكانية حدوث علاقات حقيقية بين التلاميذ من جنس مختلف، أضف إلى ذلك أن الطابع السلطوي للعلاقة البيداغوجية في المواد النظرية، يجعل العلاقات بين التلاميذ منحصرة في إطار العمل المدرسي فقط، بحيث أن هؤلاء تحت ضغطه، لا يبالون بالانتباه إلى جنس بعضهم البعض. أما في عالم"خارج قاعة القسم"، فالوضع ينقلب إلى عكس ما كان عليه في سابقه. ذلك أن العلاقات بين الجنسين تصير ممكنة، بحيث تنشأ بسهولة وحرية أكثر. كما أن الهوية الجنسية لكل فرد، تصير معترف بها، بمعنى أن الفتاة تصير أنثى والفتى يصير ذكرا، في كلامهما وحركاتهما وتفكيرهما. فيصير الحوار بذلك، حوار جنسين مختلفين باختلاف الجسم في المقام الأول، وليس حوار عقلين متماثلين أمام موضوعية العلم كما كانا عليه داخل قاعة القسم. كما أن ذلك الحوار يصبح بعيدا كل البعد عن إطار العمل الفكري، بل يرقى إلى التعبير البدني المفعم بالذاتية والحرية والإبداع مرورا بالمزاح والتسلية والمرح. مما يزيد من تخوف البعض الأكبر من الأولياء، من نشوء العلاقات العاطفية .(Mosconi, N., p.226, 1979)

ومادة التربية البدنية والرياضية، باعتبارها تدرس خارج قاعة القسم، تصير بفعل ذلك، محل هذا التخوف ليس لدى بعض أولياء التلاميذ فحسب، بل وحتى لدى بعض التلاميذ أنفسهم، حيث ينطبق عليها في نظرهم، ما ينطبق على عالم"خارج قاعة القسم". في فرنسا، رغم أن الاختلاط في التعليم، يعتبر مكسبا وحقا، بحيث أن المؤسسات تحميه وتسهر على إبقاءه، إلا أنه في مادة التربية البدنية والرياضية، أصبح في طريق الزوال. ذلك أن ابتداء من مستويا السنة الثالثة والرابعة من التعليم المتوسط، يتلقى كل جنس من التلاميذ دروس التربية البدنية والرياضية على انفراد. كما أن جنس الأستاذ يرادف جنس التلاميذ. إن الإزالة التدريجية للاختلاط في مادة التربية البدنية والرياضية في فرنسا، لا تعود كما قد يتخيل البعض إلى أسباب عقائدية أو أخلاقية، بل ترجع إلى أسباب بيداغوجية محضة. فمشكل الاختلاط في مادة التربية البدنية والرياضية حسب الطرح الفرنسي، يشبه مشكل اختلاف المستويات الدراسية لدى التلاميذ، الذي يستدعي إنشاء أفواج مستويات، منفصلة عن بعضها البعض. ففي التربية البدنية والرياضية حسب هذا الطرح، إن تقدم التلاميذ في البلوغ يؤدي إلى نشوء فروق حيوية أي بيولوجية ومورفولوجية بين الذكور والإناث. وتؤدي هذه الفروق بدورها إلى نشوء أخرى في القدرات النفسية-الحركية، وفي الأداء الرياضي للذكور والإناث من التلاميذ، بحيث يصير من الضروري الفصل بين الجنسين لضمان نجاح الفعل البيداغوجي. وتبرز

أيضا حسب نفس الطرح، فروق في الذوق تجعل ممارسة مشتركة بين الذكور والإناث مصدر إحباط لكل منهما. حيث على سبيل المثال لا الحصر، البنات اللواتي لا يرغبن في لعب الكرة أولا يلعبنها جيدا، تجدن أنفسهن مرفوضات أو مهمشات من طرف الذكور .(Zimmermann, D. [et all], p.94, 1977) هذا عن الاختلاط بين الجنسين على مستوى التلاميذ.

يوجد أيضا اختلاط من نوع آخر في المدرسة الثانوية، والذي يتمثل في اختلاف جنس التلميذ مع جنس الأستاذ، وهنا أيضا تظهر بعض التخوفات تجاه هذه الحقيقة، وخاصة في مادة التربية البدنية والرياضية. ذلك أن علاقة الأستاذ بالتلميذ في المواد النظرية، كما سبق وأشرنا إليه، علاقة بيداغوجية الأستاذ فيها واسطة للعلم فقط. مما يجعله يظهر وكأنه مخلوق دون جنس معين، بحيث أن مهمته تلك، تعمل كقانون يفرض عليه وعلى التلميذ، كبت الدوافع الجنسية"**Refoulement**". فتصير بذلك علاقة الأستاذ بالتلميذ، علاقة أبوية أو أخوية أو صداقة لا غير. مما يجعلها خالية من أي جنسية .(Mosconi, N., p. 163-164, 1979) إن هذه القاعدة تنطبق على العلاقة التربوية في أي مادة تعليمية، ولكن تبقي النظرة إليها تختلف من مادة لأخرى. ومن ذلك أن المواد التعليمية النظرية، باعتبار أنها تستخدم الرسم أو الكتابة على الكراريس والسبورة، نوعا ما كمادة أولية للتعليم، أن ذلك يسهل كثيرا تصور تحقيقها لتلك القاعدة. أما التربية البدنية والرياضية، التي تستخدم نوعا ما كمادة أولية لتعليمها، الجسم وحركاته، فبالتالي يصعب على كثير من الناس تصور تحقيقها لعلاقة تربوية خالية من أي شرود عاطفي. ومن ذلك يظهر التخوف من مفعول تواجه الأجسام"**corps à corps**". كما أن تلامس البشرات يبقى مشكوكا فيه دائما، ومن جانب المؤسسة التعليمية نفسها، التي تعمل على مراقبته والتحكم فيه. فهي أي نعم، تعطي أستاذ مادة التربية البدنية والرياضية الإذن بلمس تلاميذه، ولكن فقط في وضعيات تعليمية مقننة بشكل يجعلها شديدة الوضوح، لاسيما من حيث كيفية التدخل والهدف منه. إن هذا الحذر يجد تبريره حسب المؤسسة التعليمية، في تجنب خطر ظهور الدوافع الممنوعة .(Zimmermann, D. [et all], p. 155, 1977)

5- عن حقيقة الاختلاط في المجتمع الجزائري:

إن تجربة الشعب الجزائري مع الاستعمار الفرنسي، أكسبته حذرا شديدا من كل ما يصدر عن الأمم غير المسلمة، إلى درجة تجعله أحيانا، يرفض أمورا قادمة من وراء البحار، قد يكون في أمس الحاجة إليها، فقط لأنه لم يحط بها علما كفاية. هذا عن ما له علاقة بالتعامل مع الماديات الجامدة. أما الأمور التي تمس تقاليده وعاداته ومعتقداته الدينية، فكل المحاولات فشلت فيما يتعلق بأبسط تعديل أيا كان، في هذا الصدد، رغم أن المظاهر توحي ببعض الانتصارات في بعض المعارك، كالتخلي"المؤقت"لبعض النساء الجزائريات عن الالتزام باللباس الإسلامي أو تعمم الإقبال على البرامج التلفزيونية الغربية من خلال الهوائيات المقعرة، أو تعاطي الشباب إناثا وذكورا، لبعض ألوان التسلية والترويح التي لا تتفق مع مبادئ الدين الإسلامي، حيث أن بعض الكتاب يعتبرون كل ذلك مجرد تنكر وتمثيل، لا غير .(Medhar, S., p.110, 1991) وكما يشير إليه الكاتب"ميكيداش"فإن المجتمع الجزائري، رغم اعترافه وقبوله للكثير من أشكال العصرنة"**Modernité**"، يبقى غير قابل للتضحية بطابعه الأصيل، ولا بأي من الخصوصيات المميزة لشخصيته. كما يضيف أن العقليات ليست مستعدة كفاية، لتقبل تغيير يمس القيم العائلية (Mekidèche, N. , p. 33, 1981)، والمقصودة هنا، هي القيم الإسلامية، التي يعتبر الأب في كل عائلة جزائرية، الحارس عليها والحريص على إجبارية امتثال كل أفراد العائلة لها. من جانبنا، نضن أن الأمر أقوى من درجة استعداد فقط، بل يتعدى ذلك إلى كونه مرتبط بالامتثال لأوامر ونواهي الدين الإسلامي، الذي اعتنقه المجتمع الجزائري طواعية، وليس كرها، وبعد اقتناعه التام، الذي لا يمازجه شك بصدق رسالة الإسلام كاملة كما جاءت. فالإسلام كما سبق وأشرنا إليه، هو أحد المقومات الأساسية للشخصية الوطنية الجزائرية. والعامل الأساسي"في تعبئة طاقات المقاومة ضد المحاولات الغزو الأجنبي، وحصنا منيعا مكن الشعب الجزائري من إحباط جميع مشاريع النيل من شخصيته"(حزب جبهة التحرير الوطني، ص.33، 1986.)وبما أننا بصدد معالجة قضية الاختلاط في المجتمع الجزائري، باعتباره غريبا عن ثقافة هذا الأخير وعن قيمه، فإننا نحن أيضا نضن أن تجاوب المجتمع الجزائري مع الاختلاط، في جميع مرافق حياته الاجتماعية، بما فيها الأوساط التربوية والتعليمية، ما هو إلا مجرد تمثيل"**de la comédie**"؛ ويتضح ذلك من خلال قاعات الأقسام في المؤسسات التربوية، أين قلما نجد على سبيل المثال، تلميذا وتلميذة مجتمعان في طاولة واحدة، رغم أنهما في قسم واحد. كما أن في الساحات، أثناء الاستراحة، قلما نجد أيضا تلميذة وتلميذا يتحدثان على انفراد .(Souad Khodja, 1991, p.93)وإن حدث ذلك، فيكون عادة، ضمن جماعة من الذكور والإناث، لإزالة الشكوك. وبناء على ذلك، يمكننا القول أن الاختلاط، بما أنه في اعتقادنا مرفوض، وفي أعماق كل فرد جزائري مسلم، سواء شعوريا أولا شعوريا، أن وجوده في المؤسسات التربوية، يجعل العلاقات بين الأساتذة والتلاميذ سطحية أكثر من اللازم، بحيث يعوق ذلك، نجاح الفعل البيداغوجي، الذي يتطلب اشتراكا عميقا من جانبي الأستاذ والتلميذ"**Complicité**".

أما عن حقيقة العلاقة التربوية في مؤسساتنا التربوية، فلقد علمتني تجربتي كأستاذ أن مجرد كلام على انفراد بين أستاذ وتلميذه من جنسين مختلفين، يكون عادة محل شك في نظر مجتمع المؤسسة التعليمية بأكمله، إدارة وأساتذة

وتلامذة وعمالا دون استثناء. فتجد لذلك الأساتذة يتجنبون التقرب من تلاميذهم من جنس مغاير، ملتزمين بقاعدة مخاطبة أي تلميذ، فقط ضمن جماعة قسمه أو بمقربة شديدة منها. وكأن كل فرد من المجتمع الجزائري حارس على قواعد هذا الأخير بخصوص العلاقات بين الأشخاص. وفي هذا الصدد، لا يفوتنا أن نذكر أن تلك القواعد مستنبطة من الشريعة الإسلامية. وعلى أساس هاته الأخيرة، من البداهة لدى كل جزائري، أن اختلاء رجل بامرأة وهما أجنبيان عن بعضهما حرام في الدين الإسلامي، ذلك أن اختلاء رجل بامرأة لا يشرع إلا إذا كانا زوجين أو أخوين أو ذوي قرابة محرمة لهما الزواج من بعضهما حرمة أبدية. وفي ذلك يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم:"**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان**"[رواه أحمد] (القرضاوي يوسف، ص. 142-143، 1988**)**. هذا عن الخلوة بين الأجنبيين.

أما عن الاختلاط، الذي واضح أنه ليس بخلوة، كما يدل عليه اسمه، بما أنه يجمع بين العديد من الذكور والإناث في مكان واحد، فيرى علماء الإسلام أنه رغم كل ذلك محرم أيضا، وللأسباب التالية (السيد صالح سعد الدين، ص. 212-213، 1990):

- أنه من أسباب الجنوح الجنسي، بحيث تصبح مراقبة علاقات الذكور بالإناث ضمنه، مستحيلة، وبالتالي أنه يسهل انتشار حديث الهزل والمزاح والغزل بينهما، وأن ذلك ينزع الحياء والحشمة منهما، ويزيل العفة عنهما.
- أنه يحط من قدر وكرامة المرأة، بحيث تزول هيبتها بتعود الرجال النظر إليها.
- أنه يصيب الرجال بطراوة في الأخلاق، بحيث يخشى عليهم من الخنوثة، والرخاوة والتشبه بالنساء.
- أن الاختلاط والالتقاء الدائم بين الذكر والأنثى، يؤدي إلى البرود الجنسي الذي يصل إلى حالة المرض الذي يستدعي العلاج، وأن، ذلك يؤدي إلى ضعف النسل. وفي هذا الصدد، يرى الدكتور"محمد محمد حسين"، أن البرود الجنسي الناتج حسبه، عن الاختلاط وتعود كل من الذكر والأنثى على رؤية بعضهما، يؤدي إلى نتيجة خطيرة أخرى، متمثلة حسبه، في انتشار الشذوذ، حيث يضيف الكاتب أن الرجل الذي ألف أن يقع نظره على مفاتن المرأة، ينتهي به الأمر إلى أن يصبح دون شهوة جنسية قوية، فيلجأ بالتالي إلى أساليب أخرى لإثبات فحولته لنفسه، مثل مشاهدته لأفلام الجنس، أو تناوله للمكسرات أو للمخدرات وغير ذلك، سعيا منه إلى تعويض الرغبة المفقودة (محمد محمد حسين، ص. 80-81، 1981).
- وأخيرا أن الاختلاط يفتت الأسرة ويقضي على مبدأ الزواج، حيث حسب هذا الطرح، يستغني المتزوج وغير المتزوج عن الزوجة، بفعل سهولة اتصالهما بالنساء في العمل والنوادي العامة؛ وكذلك بالنسبة للمتزوجة وغير المتزوجة الحال. وفي هذا الصدد الأخير، كان قد نبه الفيلسوف الإنجليزي"برتراند رسل"عن مخاطر للاختلاط في اعتقاده، بقوله:"هناك شرط مهم يساعد على دعم الحياة الزوجية، ذلك هو خلو الحياة الاجتماعية من النظام الذي يسمح بالمصادقة والمخالطة بين المتزوجين من الرجال والنساء، سواء في العمل أو في المناسبات والحفلات وما شاكلها. ذلك أن العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من الرجال والنساء، خارج دائرة الحياة الزوجية هي سبب شقاء الأزواج وكثرة حوادث الطلاق"(أنور الجندي، ص.138، 1978).

إن كل ما أوردناه من معلومات بخصوص الآراء عن الاختلاط، موجود بمتناول كل جزائري عامة، وتلاميذنا الثانويين خاصة، بحيث بإمكانهم الإطلاع عليه وعلى العديد من المعلومات الأخرى بخصوص هذا الموضوع، عبر الكتب الدينية والاجتماعية الموجودة بمكتبات الثانويات والبلديات، وفي محلات بيع الكتب أيضا. فمن أين لنا إذن أن نتساءل عن السبب الذي يدفع بتلاميذنا إلى إعفاء أنفسهم من ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية ؟ خاصة وأنهم يعلمون أن الإسلام وضع شروطا للباس الشرعي في حالات الاختلاط المحتوم، كخروج المرأة إلى مصالحها في حياتها اليومية، حيث أن ذلك اللباس لا يتناسب مع ممارسة فعاليات مادة التربية البدنية والرياضية. ولكن رغم ذلك، ظهرت مؤخرا ظاهرة"حلّ أوسط"إن صح التعبير، متمثلا في ممارسة بعض الفتيات المتدينات لفعاليات مادة التربية البدنية والرياضية، بارتدائهن زيادة على اللباس الرياضي"**Survêtement**"خمارا على رؤوسهن بالإضافة إلى مئزر فضفاض طويل إلى الركبة، بهدف التقليل من وصف اللباس لأجسامهن. وهذه المبادرة، وإن كانت لا تغير من حكم الشريعة الإسلامية شيئا، فإنها قد تكون رسالة مشفرة من الفتاة الجزائرية، تخبرنا من خلالها بأنها بحاجة حثيثة لممارسة فعاليات مادة التربية البدنية والرياضية. فكما نعلم، إن الإسلام ليس ضد تعليم المرأة، ولا ضد مشاركتها في هذه المادة، ولكنه ضد اختلاط الذكور والإناث ببعضهما في أي نشاط أو مناسبة. مما يدفع بالفتيان والفتيات الذين تكون عاطفة الدين لديهم في الأوج، إلى التضحية بحقهم في ممارسة فعاليات مادة التربية البدنية والرياضية، مقابل شعورهم بطمأنينة نفوسهم تبعا لامتثالهم لأوامر ونواهي الدين الإسلامي.

ولكن ما الذي يحدث في الثانوية مع التلميذات غير المرتديات للحجاب الشرعي، وكذا منهن اللائي واضح من طريقتهن في اللباس ومن سيرتهن في الوسط المدرسي، بأنهن غير متأثرات كثيرا بقواعد الشريعة الإسلامية ؟ ما بالهن يقدمن شهادات الإعفاء ويصرحن بكراهيتهن لممارسة مادة التربية البدنية والرياضية ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في النقطة الموالية.

6- عن كره لا شعوري لمادة التربية البدنية والرياضية لدى بعض التلميذات بالثانوية:

كما سبق وأشرنا إليه، إن تجربتي المتواضعة كأستاذ متخصص في تدريس مادة التربية البدنية والرياضية، أدت بي إلى مصادفة نوع من التلميذات بالثانوية، اللواتي كنّ يصرحن لي بكرههن لمادة التربية البدنية والرياضية دون علمهن أنفسهن لماذا يشعرن بهذه العاطفة تجاهها. مما أجج فيّ الفضول للبحث في القضية، حيث توصلت من خلال بعض القراءات إلى ما قد يفسر لنا مصادر تلك الكراهية اللاشعورية إن صح التعبير، لمادتي. ومن ذلك أن في علم النفس العام وعلم النفس الرياضي، أدلى بعض الكتاب بأن الرياضة في الغالب وألعاب القوى خاصة، تقدم للمجتمع على أنها نشاطات رجالية .(Kagan, J., Moss, H., 1962) ففي أمريكا مثلا، كل شيء تربوي يؤكد أن الرياضة تتعرض لتوجيه رجالي، بدءا بالكشاكيل المدرسية، وانتهاء باللعب التي يشتريها الأبوين لأبنائهم. كما أن بعض الأبحاث حول سلوك الأبوين أكدت على أنهما، في تصرفاتهما مع الرضع الذكور، يفعلان ما في وسعهما لتنشيط هؤلاء جسديا، وذلك برفعهم إلى الأعلى، وحتى رميهم إلى الأعلى وتلقفهم. هذا عن طرق لعب الأبوين مع الرضع. أما عن تصرفهما مع الرضيعات، فيكون عادة عكس ذلك، وكأنهن ذوات رهافة ولا تتحملن الهز والمداعبة، رغم أن في هذه المرحلة من العمر، لا يوجد فرق بين الرضع، ذكورا أو إناثا كانوا. وحتى عندما يتقدم الأبناء في السن، فقد أثبتت الأبحاث أيضا، أن الأبوين يمنحان للأطفال الذكور أكثر استقلالية من الأطفال الإناث، فيما يتعلق باستطلاع المحيط، وإرضاء الفضول الذي يتميز به الأطفال في طفولتهم الأولى .(Cratty, B., 1968)كما نستطيع أيضا أن نلاحظ وجود فروق في تصرفات المجتمع عامة، إزاء الجنسين من الأطفال من خلال تعويده لكل جنس على لعب مخصص له. فالأولاد والبنات يكتشفون مبكرا من خلال توجيهات الكبار، نوع اللعب والألعاب والرفقاء المناسبين لجنس كل منهم، بحيث يكون كل ذلك مطابقا للدور الجنسي. فالأولاد مثلا، في رياض الأطفال الذكور يدربون على اللعب في جماعات كبيرة، وعلى إظهار أكثر عدوانية وخشونة من البنات، بحيث أن في ظرف سنة أو سنتين على الأكثر، يصير الأولاد والبنات يعتبرون من تلقاء أنفسهم أن ألعاب القوى مثلا من النشاطات الذكرية. أما عن الأبوين، فهما يشجعان ويجازيان كل السلوك مطابق للدور الجنسي، كما يثبطان ويذمان كل سلوك مخالف له أيضا. ويظهر ذلك جليا من خلال اللعب التي يشريانها لأولادهما وبناتهما، وكذلك في الملابس التي يلبسانهم، حيث أن البنات تكنّ في الغالب مكسوات بملابس لا تتناسب مع التمرينات والألعاب التي تتطلب حركية واسعة، على عكس ملابس الأولاد. كما أن الصورة الذكرية للنشاط الحركي ترسخ أيضا في أذهان الأطفال من خلال الكشاكيل المدرسية للمرحلة التعليمية الابتدائية كما سبق وأشرنا إليه؛ فتظهر البنات في تلك الكتب المدرسية وكأنهن لا تغامرن كثيرا؛ كما تقدّمن على أنهن كسولات أكثر من الأولاد؛ مما يجبرهن على تقمص تلك الخصائص السلبية (Child, S. E., Potter, Levine, E., 1960). وبالتالي وبتلك الطريقة يتم تدعيم في أذهان الفتيان والفتيات الصغار فكرة أن ممارسة الرياضة والمجازفة وكل ماله علاقة بجسم نشيط ومحرر مخصص للذكور دون الإناث. ذلك أن الفتيات في تلك الكتب، تقدم من خلال قصصها على أنهن ما تفعلن إلا مشاهدة الأولاد يتسلقون الأشجار ويصطادون العصافير ويتزحلقون على الثلج ويتكوّرون في الأوراق، حتى أن بعض القصص منها تظهر البنات اللائي حاولن تقليد الذكور في تلك النشاطات، إما أنهن تسقطن أو تجرحن أو أنهن تقتنعن بضرورة القيام بالأعمال المناسبة لدورهن الجنسي. ففي إطار هذا التصور، تصير نفسية الإناث مدركة على أنها رهيفة جدا، ومن ذلك أنهن لا تحتملن الضغط الذي يتطلبه التنافس الرياضي. كما يعتبر البعض أن جسم المرأة ناقص الفعالية وأنه غير ملائم لممارسة لرياضة. وادعوا أيضا أن ممارسة الفتيات للرياضة تحبط بطريقة أو بأخرى الصفات الحميدة التي تتميزن بها (Burchenal, E., 1973) فما هي إذن تلك الصفات ؟ للإجابة على هذا السؤال، لا يوجد أصدق من النساء الرياضيات. وفي هذا الصدد، نجد من بينهن"فيكي فولتز **Vicky Foltz**"، وهي إحدى أحسن العداءات في اختصاص المسافات الطويلة، في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قالت بأنها أثناء السباقات، تبذل جهودا هائلة للظهور جميلة، كما تبدى تخوفا من تضخم ساقيها. ذلك توضح، أن كثيرا من الناس ادعوا أن أغلبية الرياضيات تبدون وكأنهن ذكورا أثناء المنافسات؛ وأن ذلك يدفعها لا شعوريا تقول، للمحاولة أن تبدي أنوثتها من خلال المظهر وبمبالغة أثناء سباقاتها. فالرياضية حسب بعض الكتاب، تحس بأنها أبعد ما تكون عن أنوثتها عندما تدخل عالم الرياضة المهيمن عليه من طرف الرجال، لأنها إن أظهرت مهارة ما، تصير منظورا إليها بشيء من اللوم، ليس لأنها دخلت عالما ذكريا، ولكن بسبب أنها صارت تتحرك كالرجال. مما يدخل الشكوك في نفس المرأة الرياضية، عما إذا كانت أنثى عادية أم لا. وما يزيد في تخوفها أكثر من ممارستها للرياضة وتألقها فيها، هو كون الإناث غير الرياضيات في الغالب لا يستلطفن كثيرا الرياضة مثلها. يوضح لنا بعض الكتاب ذلك، بإدلائهم أن المرأة إذا ما دخلت عالم الرياضة المتميز بأغلبية ذكرية، تجد نفسها في صراع الأدوار. ذلك أن كونها امرأة ورياضية، حسب هؤلاء يستدعي منها التكفل بدورين متناقضين (Scott)، J.، 1974. كتاب آخرون صوروا هذه الظاهرة بقولهم أن الرياضية في كل الأوقات، ترغم نفسها على التقيد بالخصائص الأنثوية المرغوب فيها، فتعمل كل ما في وسعها للإبقاء على أنوثتها لتفادي هكذا كل ما يهدد صورتها. الكاتب هارس"**Harris**" لاحظ في هذا الصدد، أن المرأة الرياضية تحس بعدم تكامل بين"أناها الاجتماعي"و"أناها التنافسي"، بمعنى أن النساء الرياضيات أدركن أنهن حاملات لصفات مختلفة عن نظيراتهن غير الرياضيات، مع العلم أن الصفات اللازمة التي يراها المجتمع ضرورية

التوفر في المرأة المثالية، ليست مماثلة للصفات المطلوبة في المنافسة الرياضية، التي من الضروري أن تكون متوفرة في كل امرأة رياضية، والمتمثلة في العدوانية والقوة البدنية واندفاع بدني وعاطفي عالي ورغبة شديدة في تحقيق الذات... مما يدخل المرأة الرياضية في قلق شديد، ناتج عن صراع داخلي بين الرغبة في الاستجابة للطموحات والآمال الذاتية في التألق في عالم الرياضة، والرغبة في تحقيق توقعات وانتظارات المجتمع (Carole,AOglesby, P.131-132,1982). "فلشين **Felshin**"، يقول في ذلك من جانبه أن المرأة الرياضية شذوذ اجتماعي، لأنها ترغم نفسها على إظهار أنوثتها بالتوازي مع رغبتها الشديدة في المشاركة في الرياضة (Felshin)، J.، 1974 .

وبالتالي، نرى كيف أننا بحضرة مجتمع يرغم المرأة على التخلي عن كل نشاط فيه عدوانية أو تنافس، باعتبار أن ذلك ذو أثر سلبي على أنوثتها، وأن العدوانية والتنافس من صفات الذكور فقط دون الإناث، حيث أن هذا المجتمع لا يكتفي بالتلميح لذلك، بل ويسعى بكل الوسائل لتكييف نشئه مع هذه النظرة. ومن ذلك يتضح لنا جليا أن الدور الاجتماعي للأنثى يبقى مرهونا بإرادة المجتمع الذي تنتمي إليه. أما عن رد فعلها تجاه النشاط الرياضي، فيبقى مرتبطا بالتشكيل الاجتماعي الذي تتلقاه ضمن أسرتها خاصة، وباحتكاكها مع جماعة قريناتها عامة. ومع تقدمها في السن، ستقيم الفتاة تجاربها الحركية. فما وجدته منها، متوافقا مع النظرة إلى جسمها التي كيفها عليها المجتمع، والتي استوعبتها واستيقنتها نفسها واطمأنت إليها، فستبقيه. أما ما وجدته يناقض تلك الصورة عن جسمها وذاتها، بحيث يسبب لها ألما نفسيا وعدم ارتياح وجداني، فسترفضه أو تكتبه لا شعوريا
(Carole, A., Oglesby, p.[156, 79], 1982) .

إن ما ذكرناه من مصادر تبين أن المجتمع يدفع بالأنثى إلى التكيف مع نظرته إلى النشاط البدني عامة والرياضي خاصة، على أنهما مخصصان للذكور دون الإناث، يتعلق بالمجتمع الأمريكي، الذي يوصف بأنه مجتمع عصري، ومتفتح ومرتفع عن الميز بين الجنسين. كما أن المرأة الأمريكية مشهورة بكونها تتمتع بحرية واسعة، وبمساواتها للرجل في جميع ميادين الحياة الاجتماعية والمهنية. أما عن مجتمعنا الجزائري، فواضح أنه لا يزال غير متوافق مع هذا المستوى من التفكير، رغم اتساع دائرة مشاركة المرأة أكثر فأكثر في جميع ميادين الحياة الاجتماعية الجزائرية. مما يجعلنا لا نتردد في اعتبار كل ما قاله الكتاب الأمريكيون على أن الرياضة تتعرض لتوجيه رجالي في مجتمعهم، أنه من المعقول أن يشبه ما تتعرض له الرياضة في الجزائر، وبأنه قد يساهم كثيرا في تفسير سبب كراهية بعض فتياتنا لممارسة التربية البدنية والرياضية، والرياضة عامة. وللعودة إلى هذا الموضوع الأخير، نقول بناءا على ما سلف من آراء ونظريات بخصوصه، أن فتياتنا قد كيفن في أوساطهن الاجتماعية الفورية منذ طفولتهن الأولى، على تربية شعورهن بأنوثتهن من خلال الامتثال لمخالفتهن كل سلوك وصف لهن على أنه خاص بالذكور. كما صورت لهن الأنوثة على أنها المصدر الرئيسي لقيمتهن والسبيل الأسهل للشعور بالطمأنينة والسعادة في الحياة. بمعنى إن صنّ أنوثتهن فقد سعدن، وإن ضيعنها، فقد تعسن. وبالتالي صار لدى هذه الفتيات كل ما يقربهن من الصورة المثالية للأنوثة التي كيفن على الطموح إليها، مصدر طمأنينة وراحة نفسية. كما أن كل ما يبعدهن عن تلك الصورة، صار لديهن مصدر قلق وألم نفسي. مما يجعلهن يكرهنه لا شعوريا.

والرياضة باعتبارها في جل المجتمعات تعد من النشاطات ذات الأغلبية الذكرية، صارت بذلك في نظر هذه الفتيات، من ضمن ما تهدد ممارستهن له أنوثتهن. مما جعلهن يكرهن ممارسة الرياضة ومعها التربية البدنية والرياضية، باعتبارهما من ضمن النشاطات الخاصة بالذكور. وبما أن الإقبال أو العزوف عن ممارسة أو موضوع ما، يعبر عنه"بالاتجاه"في الاصطلاح الاجتماعي، كان "بوغارديس **Bogardus** (1951)، قد قال في هذا الصدد بأن كل اتجاه مصحوب بقيمة، وأن الاتجاه والقيمة جزءان لعملية واحدة، وأن لا معنى لأحدهما دون الآخر، وأن إذا كان الاتجاه اتجاه إقدام وقبول ورضا، كانت القيمة التي تصاحبه وتربط به قيمة إيجابية، بمعنى أنها تدعم ذلك الإقدام وتنميه."أما إذا كان الاتجاه اتجاه إحجام ونفوز وعدم قبول، كانت القيمة التي تصاحبه وتربط به، قيمة سلبية" (Bogardus, E.S., p.24-25, 1950)، بمعنى أنها تدعم النفور وتعمل على بقاءه. و"القيمة"في علم الاجتماع تعني معيار السلوك الذي يعتبره أفراد مجتمع ما بأنه ذا أهمية عالية، أو بأنه فضيلة اجتماعية (محمود إبراهيم كاظم، (1972). وبالتالي يمكننا القول بأن قيمة"الأنوثة"التي هي في الأصل إيجابية في مجتمعنا، من خلال ارتباطها بإحجام الإناث عن ممارسة التربية البدنية والرياضية، تصير هنا قيمة سلبية. ومن جانب آخر، يوجد من بين هؤلاء الفتيات المحجمات عن ممارسة مادتنا والرياضة، من تستطبن التفرج على العروض الرياضية، حتى أن منهن، من هن ملوعات بمتابعة نتائج الكؤوس والبطولات الرياضية الوطنية والدولية. مما قد يفسر لنا تردد بعض الفتيات المعفيات من ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية على مساحاتها الرياضية بالثانوية، أثناء فراغات توقيت دروس المواد التعليمية الأخرى للتفرج على زميلاتهم الممارسات لهذه المادة.

7- عن مدى مطابقة الواقع مع المقاربة النظرية أعلاه:

إن واقع مهنتي السابقة كأستاذ في مرحلة التعليم الثانوي متخصص في تدريس مادة التربية البدنية والرياضية دفعني، إلى جانب اهتمامي بظاهرة إحجام العديد من أبنائنا عن ممارسة فعالياتها، إلى التساؤل عن لماذا يتعرض

تعليم هذه المادة للتسيب وقلة التكفل المادي والبشري، علما أنه لا يعقل أن يدرس أستاذ هذه المادة في آن واحد، لقسم يحتوي على قرابة الخمسين تلميذ، وبكمية قليلة من العتاد الرياضي زيادة على ذلك. وكيف أن وزارة التربية تعلم كل هذه الحقائق، ولا تظهر أي اكتراث للأمر منذ عدة سنوات. ولكن ركزت تساؤلاتي في هذا المدخل على موضوع امتناع التلاميذ عن ممارسة التربية البدنية والرياضية، المشرع من خلال الشهادة الطبية للإعفاء، حيث أن عدد المعفيين من ممارسة هذه المادة يزداد السنة تلوى الأخرى، ولأتفه الأسباب، دون أن يوضع حد لذلك؛ بالإضافة إلى أن أساتذتها، لا يخفون كون هذا الإجراء المؤسف، أبغض حلّ لمشكلة اكتظاظ أقسامهم، حيث يمكنهم من القيام بحصص معقولة العدد نوعا ما. ولكنهم يؤكدون على علمهم بأن ذلك تسيب وليس حلّ. فعوض إضافة أساتذة في مادة التربية البدنية والرياضية، يتم بالقانون تسهيل إجراء إعفاء التلاميذ من ممارستها. وهذا لا يخدم مصلحة جزائر طموحة إلى تكوين مواطن متفتح من جميع أبعاده؛ لاسيما من بعده البدني.
وبحكم قلة إمكانياتي في هذا العمل المتواضع، قمت في هذا مطلع من الألفية الميلادية الثانية بزيارة **ثانوية محمد الصديق بن يحي** المتشعبة، ببلدية"**القليعة**"بولاية"**تيبازة**"، نظرا لسهولة وصولي إليها، واطلعت على ظروف ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية بها. فوجدت عددا من الإيجابيات التي كانت في أغلبيتها معنوية، نظرا إلى أن السلبيات كانت كما توقعت مادية، ومتمثلة على سبيل المثال لا الحصر، في نقص العتاد الرياضي بالمقارنة مع عدد التلاميذ الممارسين لهذه المادة، أو في المطابقة غير الكافية لأماكن الممارسة الرياضية مع الشروط الصحية والأمنية، وكذلك أماكن تغيير الملابس، وغير ذلك من السلبيات المعهودة والموجودة في جل مؤسسات التعليم الثانوي في بلادنا. ثم بعد ذلك، انتقلت إلى الاتصال المباشر مع جمهور مادة التربية البدنية والرياضية، المتمثل في أستاذتها، والتلاميذ الممارسين لها، وكذلك التلاميذ الزوار للمساحات الرياضية أثناء فراغات توقيتهم الدراسي. فمنهم ممارسون ومنهم معفون من ممارسة التربية البدنية والرياضية، حيث ينتهزون تلك الفراغات للذهاب إلى المساحات الرياضية بالثانوية، للتفرج على حصصها. فقمت بطرح بعض الأسئلة العشوائية عليهم حول ظروف ممارسة التربية البدنية والرياضية، وحول وجهات نظرهم بخصوصها، فتبين لي من خلال تدخلاتهم، أن من التلاميذ من كان ينتقد بشدة تلك الظروف السلبية، ولكن عندما أسأل الواحد منهم عن هل يمارس التربية البدنية والرياضية، فكان يجيب بنعم؛ فأسئله إذن عن ما الذي يدفعه إلى ممارستها رغم ذلك؛ فكنت أفاجأ بتحججه بإيجابيات ممارسة الرياضة وفوائدها، وأنه لا يريد التفريط فيها رغم السلبيات، وأنه رغم جنيه للقليل منها من خلال ممارسة التربية البدنية والرياضية، فهو يفضل ذلك على لا شيء. ومن التلاميذ المستجوبين من كان يذهب مباشرة، إلى الكلام عن ربح النقاط في هذه المادة كدافع له، وآخر عن الترفيه واللعب، وآخر عن لعب كرة القدم، وآخر عن الالتقاء بالأصدقاء في جو مختلف عن قاعة القسم، وآخر عن الحرية. أما المعفون فكانوا يتحججون بالسلبيات المادية كسبب لعدم ممارستهم للتربية البدنية والرياضية، فكنت أدخل بعض الأسئلة بغية إلقاء الضوء على الأسباب العقائدية السالفة الذكر، مثل رفض الاختلاط، أو رفض ارتداء البدلة الرياضية للأنثى المتحجبة، ولكنهم كانوا لا يفصحون عن آراءهم حول موضوع الاختلاط، بالنسبة للمتحجبات، وكذلك المتديّني المظهر من الذكور؛ حيث كانوا يتهربون من الإجابة على أسئلتي؛ وعندما كنت ألح عليهم، كانوا يذهبون إلى نفي عدم قبولهم للاختلاط في مادة التربية البدنية والرياضية، وعلى عدم اهتمامهم لطريقة لبس البنات أثناء حصة التربية البدنية والرياضية، ثم يذهبون في محاولة يائسة لتغطية مشاعرهم وآرائهم، بالالتجاء إلي المرض وعدم القدرة على الممارسة كحجة على تقديمهم لشهادات الإعفاء. ومن معفيين الآخرين من يصرح بخوفه من تأثير علامة التربية البدنية والرياضية سلبا على معدلاته الفصلية للنقاط. ومنهم من يدلي صراحة بعدم حبه للرياضة عامة، وآخرون عن تحاشيهم للتعب الذي تسببه لهم. ومن المعفيين من يعترف بتفضيله للدراسة والمراجعة، على قضاء ساعتين في اللعب والتسلية. أما عن الأساتذة، فهم يحاولون جاهدين تجنب الإحباط، حيث يصرحون لي بأنهم اصحبوا يخشون على مستقبل مهنة تدريس مادة التربية البدنية والرياضية، بفعل ما يرونه من انحطاط لظروف تلقين فعالياتها السنة تلوى الأخرى، فيحاولون رغم ذلك بعث الأمل في تلاميذهم الممارسين لها، خاصة أمام التزايد المخيف لأعداد المعفيين من ممارستها. فيحاولون جاهدين عدم إظهار مخاوفهم، وتغطيتها بالجد والعمل والجهود الخلاقة، بتهوينهم للنقائص والسلبيات، من خلال خلقهم لجو من التسلية والفكاهة والمبادرات الجبارة، والتضحية بأوقات فراغهم وعطلهم، وحتى بالإنفاق من أموالهم الخاصة وبالاختراع عند اللزوم.

الخلاصة:

من كل ما سلف، يتبين لنا جليا أن ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية لن ترسخ لدى الأجيال الجزائرية الحاضرة والصاعدة من أطفال ومراهقين ومجتمع عامة، إلا إذا وافقت القيم التي تسعى هذه المادة في تربيتها فيهم القيم السائدة في المجتمع الجزائري؛ ذلك لأنه لو وجد أي تصادم بينهما ولو طفيف، فنتيجته ستكون إما حدوث إحجام عن ممارستها، وإما نشوء عدم توافق لدى ممارسها في مجتمعه. فالمجتمع الجزائري عادة ما يخلط بين التربية البدنية والرياضية كمادة، والرياضة بمفهومها الفيدرالي. كما أن هذه الأخيرة تعني بالنسبة إليه الصحة والشهرة والمال. ولكن القليل من أفراد المجتمع الجزائري من يدرك بأن القيم الحالية التي تسعى مادة التربية البدنية

والرياضية في تربيتها لدى الناشئة، تتمثل على سبيل المثال لا الحصر، في التنافس واللعب والترويح والتعبير الحر والثقة بالنفس والجمال الجسدي، وحتى الاختلاط ومساواة المرأة للرجل والسلام العالمي والعولمة، والكثير من القيم الأخرى التي قد تكون متعارضة جذريا مع ما ألفوه وتربوا عليه في أوساطهم عائلي والاجتماعي والديني والثقافي.

و بالتالي، إذا أراد رواد المجتمع الجزائري أن تستمر ممارسة مادة التربية البدنية والرياضية، وأن لا ينقطع إقبال الأجيال الحاضرة والصاعدة على ممارستها، وجب عليهم العمل على إحصاء كل القيم المستترة التي تسعى هذه المادة في تربيتها حاليا في التلاميذ، وأن يحدّدوا صراحة ما يعتقدون من هذه القيم أنه يؤكد وينمي تلك التي يطمح المجتمع الجزائري إلى تربيتها في أبناءه، ليتم تدعيمها من خلال هذه المادة. والأمر كذلك بالنسبة إلى ما يرى رواد المجتمع الجزائري من تلك القيم أنه على عكس عقيدة وطموحات وآمال المجتمع الجزائري، حيث يجب عليهم استئصاله لضمان تكوين اتجاهات إيجابية نحو مادة التربية البدنية والرياضية، والتأسيس بذلك لإقبال واسع عليها لدى الأطفال والمراهقين والمجتمع الجزائري عامة، وبالتالي إعداد أفراد سليمي التوافق النفسي-الاجتماعي، بعيدين عن الشذوذ الناتج في الغالب عن تضاد القيم التي يسعى الجهاز التربية الوطنية في زرعها في الناشئة، مع القيم السائدة في العائلة وفي الحياة والوسط الاجتماعيين.

المراجع باللغة العربية:

1- أنور الجندي، (1978). مفاهيم العلوم الاجتماعية، القاهرة.

2- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية،(1986). الميثاق الوطني، الجزائر: حزب جبهة التحرير الوطني.

3- السيد صالح سعد الدين، (1990). احذروا الأساليب الحديثة لمواجهة الإسلام، الجزائر: مكتبة رحاب.

4- القرضاوي يوسف، (1988). الحلال والحرام في الإسلام، الطبعة العشرون، الجزائر: مكتبة رحاب.

5- محمد محمد حسين، (1981). حصوننا مهددة من داخلها، بيروت: مؤسسة الرسالة.

6- محمود ابراهيم كاظم، (1972). تطورات في القيم الطلبة، القاهرة: المطبعة الأنجلو المصرية.

7- وزارة الشباب والرياضة، (1976). قانون التربية البدنية والرياضية، الجزائر: مطبعة جريدة الشعب.

8- وزارة التربية، (1991). النشرة الرسمية للتربية، عدد خاص، قرار يتعلق بنظام الجماعة التربوية في المؤسسات التربوية والتكوينية، الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.

المراجع باللغات الأجنبية:

1- Bogardus، E.S. (1950). Sociology، New York: Mac-Millan.

2- Burchenal، E. (1973). A constructive program of athletics for school girls، policy، method and activities، Sacramento-California: Amer Physical Education Frame Work.

3- Carole، A. Oglesby. (1982). Le sport et la femme، du mythe à la réalité، Paris: éd.، Vignot.

4- Child S. E.، Potter، Levine، E. Children's text books and personality development، an exploration in the social psychology of education، in، Posenbleth، J.، Allensmith، W. (1960)،. Causes of behavior، Readings in child development and educational psychology، New Jersey-Allyn: Rockleigh.

5- Cratty، B. Psychology and physical activity، (1968). New Jersey: Englewood Cliffs، Prentice–Hall، Inc.

6- Dubois، C. (et all ،((1977). Pluridictionnaire Larousse، Paris: Librairie Larousse.

7- Felshin، J. The social view، in، Gerber، J.، Felshin، J.، Berlin، P. and Wyrick، W.، (1974). The american Woman in sport، Massachusetts: Addison–Westley publishing، Co.

8- Kagan، J.، Moss، H. (1962). Birth to maturity، New York: John Wiley and sons، Inc.

9- Medhar ،S. (1991). Traditions contre développement، Alger: éd.، E. N. A. L.

10- Mekidèche، N. (1981). La représentation de soi des jeunes en situation de conflit culturel، Thèse de Doctorat 3ème cycle، Université de Paris 7.

11- Mosconi، N. (1979). La mixité dans l'enseignement secondaire، un faux semblant ?، Paris: éd.، P. U. F.

12- Scott، J. Men and Women in sport، the manhood myth، in، Mc Glynn، (1974). Issues in physical education and sport، Palo Alto- California: National Press Books.

13- Souad Khodja. (1991). A comme Algérienne، Alger: ENAL.

14- Zimmermann D. (et all). (1977). Questions - réponses sur l'E.P.S، Paris: éd. E.S.F،